وظيفة الثنائيّات القرآنيَّة في التفسير الموضوعي، وأثر أهل البيت عليهم السلام في ذلك

د. أحمد الصفار

الملخّص:

تمثِّل الثنائيّات اللغويّة جزءًا أساسيًّا من اللغة العربيّة، إذ يمكن تقسيم الكلام العربي إلى أربعة أصناف رئيسيّة: الثنائي، الثلاثي، الرباعي، والخماسي، وتُستخدم هذه التقسيمات لفهم قيمة التعبير والتركيب في اللغة العربيّة. ولكن في بحثنا هذا، فإنَّ مصطلح «الثنائيّات» يمثّل جمع المفاهيم التي تتضمَّن متقابلَينِ أو متضادَّينِ أو مشتركَينِ بموضوعٍ معيَّن، ممَّا تُسهم في تفسير القرآن الكريم تفسيرًا موضوعيًّا، من خلال الزوجيَّات التي خلقها الله للبشر والكون كدليل على وحدانيَّته.

وتُستخدم الثنائيَّات في القرآن الكريمِ لتوضيح فكرة التوحيد، والتأكيد على أنَّه لا شيء يشبه الله تعالى. ويُتيح التفسير الموضوعي للقرآن فهم الأمور بمعالمها المتعدِّدة وتحليلها بشموليّة، ممَّا يُعزِّز من مرونة وتعميق فهم القرآن وتطبيقه في الحياة. إضافةً إلى أنَّ أقوال أهلِ البيت عليهم السلام تقدِّم تفسيراتٍ شافيةً وشاملةً للقرآن، وتؤكِّد استعمالهم الثنائيَّات القرآنيّة في التفسير الموضوعي، ويمكن الرجوع إليهم لفهم معاني القرآن بشكل أعمق وتفصيلي. فتتعامل أقوالهم مع التحدِّيات اليوميَّة التي يواجهها المسلمون؛ ممَّا يجعلها مصدرًا موثوقًا للإرشاد واتخاذ القرارات الحكيمة في الحياة بوصفهم القرآن الناطق.

الكلمات المفتاحية:

الثنائيات، التفسير الموضوعي، أهل البيت عليهم السلام

The Function of Quranic Dualities in Thematic Interpretation and the Influence of Ahl al-Bayt (peace be upon them)

Dr. Ahmed Al-Saffar

Abstract:

Linguistic dualities represent a fundamental aspect of the Arabic language, where Arabic words can be categorized into four main types: binary, ternary, quaternary, and quinary. These classifications help in understanding the expressive and structural value of the Arabic language. However, in this research, the term "dualities" refers to paired concepts that involve opposites, counterparts, or related elements within a particular subject. Such dualities contribute to the thematic interpretation of the Holy Quran, highlighting the pairs that Allah has created in humanity and the universe as a sign of His oneness.

Quranic dualities are employed to emphasize monotheism and affirm that nothing resembles Allah, the Almighty. The thematic interpretation of the Quran provides a comprehensive perspective, allowing for a holistic analysis of Quranic meanings, thus deepening the understanding and practical application of the Quran in daily life.

Additionally, the sayings of Ahl al-Bayt (peace be upon them) offer profound and complete interpretations of the Quran. Their approach to thematic exegesis demonstrates their reliance on Quranic dualities to clarify meanings. Referring to their interpretations provides a deeper and more detailed understanding of Quranic concepts. Their words address daily challenges faced by Muslims, making them a trusted source for guidance

and wise decision-making in life, as they are considered the "speaking Quran."

Keywords:

Dualities, Thematic Interpretation, Ahl al-Bayt (peace be upon them).

مقدِّمة:

الثنائيَّات لغويًّا كما يشير الخليل[١] في كتابه «العين» إلى أنَّ كلام العرب مبني على أربعة أصناف رئيسة للكلام العربي؛ الثُنائِي، الثُّلاَثِي، الرُّباعي، والخماسي؛ الثُنائِي يتكوّن من حرفين مثل «قَدْ»، والثُّلاَثِي من ثلاثة أحرف مثل «ضَرَبَ»، والرُّباعي من أربعة أحرف مثل «دَحْـرَجَ»، والخماسي من خمسة أحرف مثل «غضنفر».

هذا التقسيم يُستخدم لفهم قيمة التعبير والتركيب في اللغة العربية إلَّا أنَّ مصطلح «الثنائيَّات» يمكن تطويره لاستعماله في جمع المفاهيم التي تتضمَّن

(١) ينظر: العين: ١/ ٤٨.

متقابلين[١]، أو متساويين، أو متضادَّين[٢]، أو زوجين، أو مشتركين بموضوع ما، ممَّا يعزِّز فهم الاختلاف بينهما، أو المشترك بينهما.

وفي القرآن الكريم نجد العديد من الأمثلة على هذه المفاهيم؛ إذ يتمُّ استعمال المتقابلات للتبيان والتمييز بين الأمور؛ ممَّا يسهم في فهم أعمق للنصوص القرآنيَّة، على سبيل المثال، يُستعمل تباين الأمور من شيء إلى ضدِّه لتمييزهما ويعرف الشيء بضده، أو بقرينه، أو بالمختلف عنه، كما وتستعمل الأزواج للإشارة إلى الأصناف المختلفة في اللغة العربية؛ هذا الأسلوب في القرآن الكريم يُسهم في توضيح المضمون بشكل فعّال.

---

(١) وهو مقابلة الشيء بضده، كالسواد والبياض، وما جرى مجراهما- فإنه ينقسم على قسمين: أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ. أما المقابلة في اللفظ والمعنى فكقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً﴾ [سورة التوبة: آية ٨٢]؛ فقابل بين الضحك والبكاء والقليل والكثير، وكذلك قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلاَ تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَآ آتَاكُمْ﴾ [سورة الحديد: آية ٢٣]؛ وقال رسول اللهﷺ: [خير المال عين ساهرة لعين نائمة]، ومن الحسن المطبوع الذي ليس بمتكلف قول عليعليه السلام لعثمان: [إن الحق ثقيل مريء والباطل خفيف وبيء، وأنت رجل إن صدقت سخطت، وإن كذبت رضيت؛ فقابل الحق بالباطل، والثقيل المريء بالخفيف الوبيء، والصدق بالكذب، والسخط بالرضا]. وأما مقابلة الشيء بما ليس بضده: ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب، مثل: مقابلة الظلم بالمغفرة، وليس ضدًّا لها، وإنما هو ضد العدل، إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل حسنت المقابلة بينها وبين الظلم. وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح: آية ٢٩]؛ فإنَّ الرحمة ليست ضدًّا للشدة، وإنَّما ضدّ الشدة اللين، إلَّا أنَّه لمَّا كانت الرحمة من مسبّبات اللين حسنت المقابلة بينها وبين الشدة. وكذلك ورد قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ [سورة التوبة: آية ٥٠]؛ فإنَّ المصيبة سيئة؛ لأنَّ كلَّ مصيبة سيئة، وليس كلُّ سيئة مصيبة؛ فالتقابل ههنا من جهة العام والخاص. أنظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢/ ٢٦٥.

(٢) مثلا: الجحود والإقرار، والعفو والسخط، والقرب والبعد، قام وقعد، وحلّ وعقد، وقلَّ وكثر؛ فإنَّ القيام ضد القعود، والحلّ ضد العقد، والقليل ضدّ الكثير.

الثنائيَّة: مصطلح يكثر استعماله لجمع لفظين أو مفهومين أو موضوعين وهكذا للوصول لغاية واحدة، وسنستفيد من هذه الحالة في دراسة الثنائيَّات القرآنيَّة وتسخيرها في التفسير الموضوعي.

وقد أشرنا الى أنَّ من استعملها الخليل الفراهيدي في اللغة، وكذلك المتَّقي الهندي استعملها في كنز العمال[1]، وعقد لها فصلاً بعنوان الترهيبات الثنائيَّة، والثلاثيَّة حتَّى العشاريَّة. و«ثنائيَّة تاريخيَّة، وثنائيَّة معجميَّة»[2] وهذه كلها ليست المقصودة بالبحث.

أمَّا الثنائيَّات القرآنيَّة: فهي تركيبات لفظية في القرآن الكريم تتألَّف من كلمتين متشابهتين، أو متضادَّتين، أو مختلفتين، أو مشتركتين بموضوع ما تُستعملا معًا للتعبير عن مفهوم معين، وهي قريبة من المتضادتين والمتقابلتين؛ تُسهم هذه الثنائيَّات في التعبير والبلاغة القرآنيَّة، والبحث يدعو الى توسيع استعمالها لوضع منهجيَّة في التفسير الموضوعي، وإنَّها تسلّط الضوء على التوازن والتباين بين المفاهيم، وتعزِّز فهم القرآن بشكل أعمق.

بالإضافة إلى ذلك، تشير الثنائيَّات القرآنية إلى الزوجية الأساسية في خلق الله للكون، إذ تُظهر الثنائيَّات الاختلاف بين الفجور والتقوى، وبين السعادة والشقاء. وكلها تدعو الإنسان إلى مجاهدة نفسه لاختيار الخير وتحقيق السعادة الأخرويَّة، وهذه الثنائيَّات تُظهر الاختيار الحر للإنسان بين النعيم والعذاب؛ وفقًا لأفعاله واتِّجاهاته.

(١) مثلا: حديث: إن أخوف ما أخاف: على أمَّتي الهوى وطول الأمل، فأمَّا الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة... وحديث: إنَّ أشد ما أتخوف عليكم خصلتان: اتباع الهوى، وطول الأمل، فأمَّا اتباع الهوى فإنه يعدل عن الحق، وأما طول الأمل فالحب للدنيا. كنز العمال: ١٦/ ٢١.
(٢) دراسات في فقه اللغة: ١/ ١٤٧.

فالثنائيَّة في الحياة تجسِّد التوازن والصراع، هذا التوازن يُسهم في حفظ الأمور ومكافحة الظلم والفساد، ويجسِّد الإصرار على دعم الحق والعدالة.

كما أشار القرآن الكريم إلى أهمية الثنائيَّات في تأكيد وحدانيَّة الله، فيُظهر أنَّه الواحد الأحد وليس كمثله شيء. هذا يتجلَّى في الزوجيَّات التي خلقها الله للبشر والكون كدليل على وحدانيته، وبذلك يمكننا القول: إنَّ هذه الثنائيات القرآنية معنوية كانت أم مادية تُستعمل لإظهار فكرة التوحيد والتأكيد على أنَّه لا شيء يشبه الله تعالى.

يلتزم التفسير الموضوعي بالنظر في السياق الشامل والمتعدِّد للقرآن الكريم، ممَّا يساعد في فهم الأمور بمعالمها المتعدِّدة وتحليلها بشمولية، وهذا يعكس مرونة وتعمق أكثر في فهم القرآن وتطبيقه في الحياة.. وليس مستغربًا أن نجد الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام وغيرهما؛ إذ كانت إجاباتهم ليس بذكر آية واحدة في موضوع معين، بل آيات متعدِّدة لتغني الإجابة وتزينها بكل أبعاد المسألة، وهذه هي الغاية من التفسير الموضوعي، فكانت بدايات التفسير الموضوعي انطلق بها الرسول صلى الله عليه وآله، وغالبًا ما تستعمل الثنائيات لتسليط الضوء على مفاهيم مهمة في القرآن؛ تسهم أقوال أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم وتدبره بشكل كبير جدًّا؛ لما امتازوا من ارتباطهم بالرسول صلى الله عليه وآله عبر أحاديثه، وبالمعرفة والحكمة والقدرة على فهم القرآن الكريم بطريقة عميقة وشاملة، وهم من عملوا ابتداءً باستعمال الثنائيات القرآنية في التفسير؛ إن أقوال أهل البيت قدّمت تفسيرات شافية وشاملة للقرآن الكريم؛ يمكن الرجوع إليهم لفهم معاني القرآن بشكل أعمق وأكثر تفصيلًا، ممَّا مكَّن المسلمين من تحقيق فهم أفضل للقرآن، فأحاديثهم عليهم السلام ليست مجرّد تفسير نظري للقرآن، بل تعاملوا مع الواقع والتحديات اليومية التي يواجهها المسلمون، وهذا جعل أقوالهم مصدرًا موثوقًا

للإرشاد والهداية واتخاذ القرارات الحكيمة في الحياة.

لقد جسّد أهل البيت عليهم السلام الخلق القرآني بأكمله، فكانوا يعيشون حياة مبنيّة على الأخلاق والقيم الإسلامية، وأقوالهم تحمل معاني أخلاقية عميقة تسهم في توجيه الناس نحو السلوك الصالح والتقوى.

وانشعب البحث الى ثلاثة محاور بعد المقدمة: المحور الأول: الثنائيات لغة ومفهوما، وفيه بابان ١-مفهوم الثنائيات في اللغة، ٢-الثنائيات القرآنية. أمَّا المحور الثاني فهو: التفسير الموضوعي: وفيه بابان: ١- التفسير الموضوعي تعريفه، وآثاره التراثية، ٢- الثنائيات القرآنية في إبراز مفاهيم مهمة، ووضع منهجيّة للتفسير الموضوعي. أمَّا المحور الثالث: ففي أثر أهل البيت عليهم السلام في فهم المعاني العميقة للثنائيات القرآنية. وفيه ثلاثة أبواب: ١-العلم والمعرفة، ٢- أثر أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن عبر ثنائياته، ٣- الترجمة العملية، ثم الخاتمة والمصادر .

المحور الأول: الثنائيّات لغة ومفهومًا

أولًا: مفهوم الثنائيّات في اللغة:

يقول الخليل في العين: «كلاَمُ العَرَب مبنيّ على أربعةِ أصناف: على الثُنَائِيِّ والثُّلاَثِيّ، والرُّباعيّ، والخماسيّ؛ فالثُّنائِيُّ على حَرْفَيْنِ نحو: قَدْ، لَمْ، هَلْ، لَوْ، بل ونحوه من الأدوات والزَجْر، والثلاثيُّ من الأفعال نحو قولك: ضَرَبَ، خَرَجَ، دَخَلَ، مَبْنيٌّ على ثَلاَثَةِ أحرف، ومن الأسماء نحو: عُمر، وجَمَل، وشَجَر؛ مَبْنيٌّ على ثلاثةِ أحرُف، والرباعي من الأفعال نحو: دَحْرَجَ، هَمْلَجَ، قَرْطَسَ؛ مبْنيٌّ على أربعةِ أحْرف، ومن الأسماء نحو: عَبْقَر، وعَقْرَب، وجندب، وشبهه، والخماسيُّ من الأفعال نحو: اسْحَنْكَكَ، واقْشَعَرَّ، واسحَنْفَرَ، واسبَكَرَ؛ مبنيّ على خمسة أحرف»[1]،

(١) العين: ١/ ٤٨.

وقد قسّم الخليل كتابه على هذا الأساس، ويفصّل صبحي الصالح أكثر بالقول: «في حال التركيب لاحظ العلماء كذلك القيمة التعبيرية للحرف مع أخيه في لفظ ثنائي على القول بثنائية اللفظ العربي، ولا سيّما في نشأته الأولى، وهذه الثنائية قد اتخذت في أذهان القائلين بها صورًا مختلفة، وأشكالًا متنوعة، فكانت الثنائية التاريخية ذات المقطع الواحد، والثنائية المعجمية التي ضعف حرفها الثاني فأصبحت ثلاثية بوساطة الشدة، والثنائية التي كُرِّر مقطعها بكلا حرفيه فأضحت رباعية بطريق المضاعفة والتكرار»[١].

وينبغي أن نلفت الانتباه هنا الى أنَّ هناك تعريفات أُخَر لمفهوم الثنائيات، وما جاء في كتاب «العين» للخليل لا يعني أنَّ هذا التعريف هو التعريف النهائي؛ فالكتاب يشير إلى أنَّ الكلمة «الثنائي» تأتي من كلمة «اثنين»، وبناءً على هذا المصدر، يمكن تعريف الثنائي: على أنَّه كلّ مفهوم يتضمّن اثنين أو يتعلّق بهما، وبناءً على هذا التعريف، يمكن جمع مفاهيم الثنائي تحت مصطلح «الثنائيّات؛ ولكي ندرس مفهوم الثنائيات من باب المفاهيم فبهذه الحالة ستكون الثنائيات قريبة من المتقابلات وهي: «المتقابلات كلُّها إذا أُخِذ كلُّ متقابلين منها في موضوع واحد، كانت متعاندة، وأن لا وسط بينهما»[٢]، ويتناول في هذا الشأن ابن الأثير الكاتب[٣] بالتفصيل جميع المتقابلات التي يمكن تسخيرها هنا، وفي القرآن الكريم الكثير من الأمثلة على المتقابلات، مثل قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً﴾[٤] فيتنقل القرآن الكريم من شيء إلى ضدِّه للتمييز بينهما، أما الأزواج فهي بمعنى الأصناف؛ كقوله

(١) دراسات في فقه اللغة: ١/ ١٤٧.
(٢) مصطلحات علم المنطق: ١/ ٨٢٧.
(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢/ ٢٦٥.
(٤) سورة التوبة: ٨٢.

تعالى: ﴿أَ وَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾(١)؛ يعني: من كلّ صنف من النّبت الحسن(٢)، وقال تعالى: ﴿سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾(٤)؛ قال الطبري: «قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ الْكُوفِيِّينَ: الزَّوْجَانِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الِاثْنَانِ، قَالَ: وَيُقَالُ عَلَيْهِ زَوْجَا نِعَالٍ: إِذَا كَانَتْ عَلَيْهِ نَعْلَانِ، وَلَا يُقَالُ عَلَيْهِ زَوْجُ نِعَالٍ، وَذُكِرَ أَنَّ الْحَسَنَ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾(٥)، السَّمَاءُ زَوْجٌ، وَالْأَرْضُ زَوْجٌ، وَالشِّتَاءُ زَوْجٌ، وَالصَّيْفُ زَوْجٌ، وَاللَّيْلُ زَوْجٌ، وَالنَّهَارُ زَوْجٌ، حَتَّى يَصِيرَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ الْفَرْدِ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ»(٦).

ثانيا: الثنائيَّات القرآنية:

هي تركيبات لفظية في القرآن الكريم تتألَّف من لفظين متقابلين، أو متساويين، أو متضادّين، أو زوجين، أو مشتركين بموضوع ما، ممَّا يعزِّز فهم الاختلاف بينهما، أو المشترك بينهما، تُستعملا معًا للتعبير عن مفهوم، أو معنًى معين، وهذان اللفظان يأتيان عادة متلازمين في القرآن الكريم، ويتكررا في كثير من السور والآيات.

وللثنائيات القرآنية أهمية كبيرة في اللغة العربية والبلاغة القرآنية؛ إذ تسهم في إبراز المعاني وفي تعزيز التفسير، وتظهر وتبيِّن التأثير اللغوي والبلاغي للقرآن الكريم، على أنَّ الثنائيَّات القرآنية: هي «الألفاظ التي يرتبط بعضها مع بعض لعلائق،

(١) سورة الشعراء: ٧.
(٢) العين: ١/ ٤٨.
(٣) سورة يس: ٣٦.
(٤) سورة هود: ٤٠.
(٥) سورة الذاريات: ٤٩.
(٦) تفسير الطبري: ١٢/ ٤٠٩.

أو وشائج تجمع بينهما معنويَّة كانت أم ماديَّة؛ التي غالباً ما إذا ذُكر أحدهما ذُكر الآخر»[١].

أمَّا سبب اعتمادنا الثنائية بمفهوم الزوجيَّة أو الإثنينيَّة، وإن كانت الاستعارة اللفظيَّة هي من «فلسفة ديكارت مؤسس الإثنينية التي تقول: بوجود الروح مع وجود المادة في الفلسفة الحديثة»[٢]؛ بمعنى جوهرين مختلفين، فمنطلقنا في مفهوم الثنائية القرآنية من أنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الكون بالزوجية أو سمِّها الإثنينية أو الزوجية، ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٣]، ولا نقصد بها الإثنينية بالعبادة -والعياذ بالله- لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلـٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٤].

فالزوجين كما ينقل الطبري قد اختلف العلماء في تفسيرهما؛ «منهم من قال: نوعان مختلفان: الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والإنس والجنّ. وقال آخرون: عنى بالزوجين؛ الذكر والأنثى»[٥].

ويقول الطباطبائي هما: «الزوجان المتقابلان يتم أحدهما بالآخر: فاعل ومنفعل كالذكر والأنثى، وقيل: المراد مطلق المتقابلات كالذكر والأنثى والسماء والأرض والليل والنهار والبر والبحر والإنس والجن وقيل: الذكر والأنثى»[٦].

---

(١) الثنائيّات في القرآن الكريم وجوانب التكامل والتدافع: ١٠.
(٢) مجلة الرسالة: ٥٤.
(٣) سورة الذاريات: ٤٩.
(٤) سورة النحل: ٥١.
(٥) تفسير الطبري: ٢١/ ٥٤٨.
(٦) تفسير الميزان: ١٨/ ٣٨٢.

إنَّ هذه الثنائيَّات التي خلقهـا الله تعالى، هي التي تحدِّد حركتنا في التاريخ وتوجّه سيرنا الى الله تعالى؛ فالإنسان السوي يكدح دائمًا الى مجاهدة النفس لتغليب الخير على الشر والإيمان على الكفر؛ لأجل نيل رضا الله ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ﴾[1]، فالله تعالى ألهم النفس الإنسانية وعرَّفها على الفجور والتقوى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[2] فإنَّه وبمكابدته نفسه بين ثنائيَّة الفجور والتقوى يسعى دائمًا الى تحقيق الأهداف الإيجابية بعيدًا عن السلبية، فيعيش في مغالبة هذه الثنائية للانتهاء بالأحادية؛ إمَّا إلى النعيم وإمَّا الى الجحيم قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[3] ؛ وذلك حتمًا بسبب أنَّ نفسه قد تغالبت فيها ثنائية التزكية والدّس من جهة، وثنائية الفلاح والخيبة من جهة أخرى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[4] في المقابل، تتجنب النفس الإنسانية بالفطرة السليمة الأشياء السيئة التي تتَّسم بالمحدوديّة والانقطاع مثل الدنيا، والشر، والكفر، والظلام.

وفي أثناء رحلة الإنسان في هذا السير التاريخي في الكدح المقرون بالكبد والكدّ والتعب «في جميع شؤون حياته، فليس يقصد نعمة من نعم الدنيا إلَّا خالصة فيطيبها محضة في هنائها ولا ينال شيئًا منها إلَّا مشوبة بما ينغّص العيش مقرونة بمقاساة ومكابدة؛ مضافًا إلى ما يصيبه من نوائب الدهر، ويفاجئه من طوارق الحدثان»[5]، نجمع في أنفسنا ونعيش حياتنا بمجموعة من الثنائيات وأساليب

(١) سورة الانشقاق: ٦.
(٢) سورة الشمس: ٧- ٨.
(٣) سورة الانفطار: ١٣- ١٤.
(٤) سورة الشمس ٩-١٠.
(٥) تفسير الميزان: ٢٠/ ٢٩١.

التنوع والتكاثر، وذلك بهدف تطور فهمنا لوحدانية الله تعالى «ويجب أيضًا أنْ لا تغرب عنَّا هذه النكتة أنَّ الآيات القرآنية تعترف بالخير مقابل الشر، والنفع مقابل الضرر، والحسن مقابل السيء، والجمال مقابل القبح، وتعتبر كثيرًا من الأفعال والأقوال والأفكار حسنة أو سيئة، ولكن هذه المساوئ والقبائح والشرور تبدو واضحة إذا ما قيست بما يقابلها، فوجودها نسبي وليس بنفسي»[١].

إنَّ في الثنائيات نعيش حالة التدافع، وهي سنَّة الله، ولولاها لفسدت الأرض، وبفضل الله تعالى كانت هذه الثنائية، فيُدفع الظلم ولو بالمقاتلة؛ لأجل تحقيق العدالة، وبالإصلاح يُدفع الفساد ويُدحر: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٢]، «وهذا إرشاد إلى تنازع البقاء والدفاع عن الحقِّ، وأنَّه ينتهي ببقاء الأمثل وحفظ الأفضل»[٣]؛ «أي: لولا ما أمر الله به المسلمين من حرب الكافرين لفسدت الأرض»[٤]، ويتَّضح أنَّ في الثنائية تنازع لتحقيق السعادة والعدالة ويتجلَّى الإصرار على دفع الظلم والقهر ومنازعة الكفر والظلال بأنَّ النَّصر سيكون حليفهم: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٥]؛ بمعنى آخر «لكي يصل [الإنسان] إلى ذروة الأمن والاطمئنان عليه أن يعيش أشدَّ أنواع القلق والاضطراب! والفرد لا يتذوق اليسر بكامله إلَّا حين يمتصّ

(١) القرآن في الإسلام: ١/ ٨٧.
(٢) سورة البقرة: ٢٥١.
(٣) تفسير الميزان: ٢/ ٣٠٣.
(٤) معاني القرآن: الزجاج: ١/ ٣٣٣.
(٥) سورة الحج: ٤٠.

العسر بكامله، ولا ينفتح على جميع الكون إلَّا بممارسة التقيّد والالتزام، وهكذا عليه أن يكون محاربًا ليكون مسالمًا... ولا بدَّ أن يحتشد فيه كلُّ ثنائيات الكون؛ لتتوحَّد شخصيَّته، ثمَّ تزول عنه كلُّ ثنائيات الكون! غريب سرّ هذا الإنسان! كيف تتجسد فيه كل أساليب الكثرة؛ لكي تتبلور فيه كل حقيقة الوحدة»[١].

ويؤكِّد القرآن الكريم أنَّ هذه الثنائية هي دليل واضح على وحدانيَّته تعالى، المنزّه عن كلِّ المتقابلات والثنائيَّات فهو الواحد الأحد: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْواجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٢] فلا شيء مثله عُرف بالتفرّد وبالوحدانيَّة؛ جاء عن النبي صلى الله عليه وآله في دعاء الجوشن الكبير بأن لا شيء كمثله تعالى: [يا نورًا لَيسَ كَمِثلِهِ نورٌ... يا حَيُّ الَّذي لَيسَ كَمِثلِهِ حَيٌّ... يا مَن لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ][٣].

ويرى السمرقندي في تفسيره للآية التي تشير الى الزوجيَّة في الخلق فتصبح دليلًا على وحدانيَّة الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤]، فيقول: «﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يعني تتَّعظون فيما خلق الله فتوحِّدوه»[٥]، وكما يقول الطباطبائي: «أي: تتذكَّرون أنَّ خالقها منزّه عن الزوج والشريك واحد موحَّد»[٦]، ولا شكَّ في أنَّ الكون مبني على الثنائية لتأكيد وحدانيَّة الله تعالى، ولعلَّ في كلام

(١) أمر بين أمرين: ١/ ٧.
(٢) سورة الشورى: ١١.
(٣) المصباح: ١/ ٢٥٣.
(٤) سورة الذاريات: ٤٩.
(٥) تفسير السمرقندي: ٣/ ٣٣٠.
(٦) تفسير الميزان: ١٨/ ٣٨٢.

القرطبي توضيح لهذه الفكرة فيقول: «إنّ خالق الأزواج فرد»[١]، «اذا ما أدركنا النقاط المشروحة في مئات من الآيات القرآنيَّة التي تصف عالم الوجود، بكل جزء جزء منه، وبمجموعة مجموعة منه، وبمختلف أنظمته الكليَّة والجزئيَّة؛ لنرى أنَّه أحسن دليل على التوحيد، وأعظم مرشد إلى معرفة الله تعالى وكمال قدرته»[٢].

المحور الثاني: التفسير الموضوعي

أوَّلًا: تعريفه، وآثاره التراثية:

قبل التعرّض لمفهوم التفسير الموضوعي نعرِّج على مفهوم التفسير التجزيئي أوَّلًا، إذ يُقصَد بهذه التسمية تناول جزء من القرآن؛ بأخذ الآية منفصلة ويعمد المفسِّرُ إلى تفسيرها، وقد يحتاجُ هنا اللجوء إلى آيات أُخر وقد يقود ذلك إلى استخلاص دلالات للقرآن، إلَّا أنَّها تبقى بنظرة تجزيئية: معارف ومدلولات، تناثر وتراكم عددي، من دون أي ارتباط يقودنا إلى تحديد نظريَّة قرآنيَّة لكلِّ مجال من مجالات الحياة، وقد شاع هذا التفسير وسيطر على الساحة قرونًا، ومن أبرز العوامل التي أسهمت في شيوعه النزعة الروائيَّة والحديثيَّة للتفسير؛ فالتفسير في البداية كان شعبة من الحديث مأثورًا كان أو ما عرف بأسباب النزول؛ كان الحديث الأساس الوحيد تقريبًا، يضاف إليه بعض المعلومات اللغويَّة والأدبيَّة والتاريخيَّة؛ إنَّ قيمة التفسير التجزيئي وأثره على الرغم من شيوع هذا المنهج في التفسير، فإنَّ أثره [برأي السيد الصدر] كان سلبيًّا، من نتيجته التناقض والتباين اللذين كانا سببًا في بروز غير مذهب في الإسلام أتاح المنهج التجزيئي لكلِّ مفسِّر تبرير مذهبه واتجاهه بإسناد رأيه إلى القرآن، مع ما يتبع ذلك من جمع للأنصار والإشباع حول المفَسِّر؛ ولعلَّ

(١) تفسير الثعلبي: ٩/ ١١٩.
(٢) القرآن في الإسلام: ١/ ٨٨.

المسائل الكلاميَّة من جبر واختيار وما عداها هي خير مثال على صحَّة ما نقول[١].

لقد صرَّح القرآن الكريم بأنَّ كلمات اللّه لا تنفد: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢]، فالقرآن الكريم «عطاء لا ينفد بينما التفسير اللغوي[٣] ينفد؛ لأنَّ اللغة لها طاقات محدودة، وليس هناك تجدُّد في المدلول اللغوي»[٤] من جهة، وعملاً بوجوب العمل بالقرآن الكريم من جهة أخرى؛ إذ تقع المسؤوليَّة المباشرة على عاتق المسلمين، كما ألمح إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام: «الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم»[٥]، وتحكيم مناهجه؛ إذ إنَّه يضع الحلول لمشاكل البشريَّة من جهة ثالثة، فالقرآن الكريم كما قال أمير المؤمنين: «منهاجًا لا يضلّ نهجه... ومنازل لا يضلّ نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السّائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون... ومعقلًا منيعًا ذروته، وعزًّا لمن تولَّاه، وسلمًا لمن دخله، وهدى لمن ائتمَّ به... وحاملًا لمن حمله، ومطيَّة لمن أعمله، وآية لمن توسّم، وجُنّةً لمن استلأم... وحكمًا لمن قضى»[٦]، وكيف السبيل لفهم منهج القرآن الكريم من غير وضع منهج تفسير لآياته؟

ينطلِقُ التفسير الموضوعي من الحوار مع القرآن الكريم في استنطاق آياته وجمع مواضيعه من آياته المتناثرة بين السوَر؛ لينهض بعدئذ بالمعرفة البشرية فيما

---

(١) انظر: المدرسة القرآنية: ١٤.

(٢) سورة لقمان: ٢٧.

(٣) بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب؛ انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ١/ ٣٨.

(٤) المدرسة القرآنية: ٢٤.

(٥) نهج البلاغة: ١/ ٤٢٢.

(٦) م.ن: ١/ ٣١٦.

يأخذه من علوم القرآن الكريم ومعارفه الجمّة، فيربو بذلك الفكر الإنساني وينمو ويتكامل في ضوء النظريات القرآنية المستكشفة من خلال التفسير الموضوعي.

ولعلَّنا ننطلق بالتفكير من نقل التجربة البشريَّة ونسقطها على القرآن الكريم وليس العكس، ولا يعني أن يخضع القرآن للتجربة البشريَّة، بل أن نبدأ من الواقع بما فيه من صور وننتهي بالقرآن لنستنطقه فيما نجده في الواقع وكيف نستنطقه مالم نحاوره فإنَّ «هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، ولَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ»[١]؛ أي: من «الواقع الخارجي، من الشيء الخارجي ويعود الى القرآن الكريم، ويعبِّر عن التفسير بأنَّه موضوعي على ضوء الأمر الأوَّل باعتبار أنَّه يبدأ من الموضوع الخارجي وينتهي إلى القرآن الكريم، ويوحّد بين التجربة البشرية والقرآن الكريم»[٢].

ولا يقصد بالتفسير الموضوعي أن يُفسَّر بطريقة الوجوه والنظائر؛ «فالوجُوهُ: هو اللَّفْظُ الْمشترَكُ الَذي يُسْتعمَلُ فِي عِدَّةِ مَعَان كَلفْظِ الْأَمةِ وَالنَّظَائِرُ كالْأَلْفَاظِ الْمُتَوَاطِئَةِ»[٣]، ومعنى الوجوه: أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع متفرّقة من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة، ولكن يراد بها في كلّ مكان ذكرت فيه معنى يخالف معناها في المكان الآخر، أمَّا كلُّ كلمة ذكرت في موضع وذكر نظيرها في موضعٍ آخر هو ما يعرف أو ما يسمَّى بالنظائر.

ويذكر هذا الفرق الزركشي فيقول: «وَقِيلَ النَّظَائِرُ فِي اللَّفْظِ وَالْوُجُوهُ فِي الْمَعَانِي»[٤]، ويمكننا أن نجمع بين مواضيع مختلفة في بوتقة واحدة لتعطي موضوعًا

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٨٢.
(٢) المدرسة القرآنية: ٢٩.
(٣) البرهان: ١/ ١٠٢.
(٤) م.ن.

أشمل يحيط بذلك الكمِّ من الدلالات والألفاظ، حينئذ سيُدرس القرآن الكريم بمراجعة سور متعدِّدة لاستظهار المقصد القرآني أو الاقتراب منه؛ لأنَّ القرآن الكريم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله»(١)، ولكن ومع ذلك فإنَّ «الاتجاه الموضوعي بحاجة طبعًا الى تحديد المدلولات التجزيئية في الآيات التي يريد التعامل معها في ضمن إطار الموضوع الذي يتبنَّاه»(٢).

إنَّ التفسير الموضوعي علم له قواعد وأسس وأصول، وله منهج وطريقة يلتزم بها الباحث، فيقوم الباحث بجمع الآيات التي تبحث في موضوع واحد، أو مصطلح واحد، من مختلف السور، سواء كانت هذه الآيات تتحدَّث عن المصطلح نفسه، أم تتحدّث عن مصطلحات وألفاظ مقاربة له، وهذا معنى القول: لفظًا أو حكمًا، وبعدها تفسّر الآيات تفسيرًا موضوعيًّا وليس تفسيرًا تحليليًّا(٣)، وذلك حسب المقاصد القرآنية، ليحقق مقاصد القرآن وأهدافه الأساسية، ببحثه الموضوعي في تلك الآيات(٤)، «فأصبح التفسير الموضوعي يُعنى بجمع الآيات المتفرقة في سور

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٩٢.

(٢) المدرسة القرآنية: ١٤.

(٣) التفسير التحليلي «ينصب على معرفة دلالة الكلمة اللغوية ودلالتها الشرعية، والتعرف على الرابط بين الكلمات في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات في السورة. وكذلك التعرف على القراءات وأثرها على دلالة الآية، ووجوه الإعراب ودورها في الأساليب البيانية وإعجاز القرآن الكريم. وغيرها من الوجوه التي تساعد على إخلاء المعنى وتوضيح المراد. فالذي يريد تفسير الآيات تفسيرًا إجماليًا لا يستطيع أن يعبِّر عن موضوع الآيات التي يريد التعبير عنها بأسلوبه الخاص لتقريب المعاني وإبراز جوانب الهداية منها ما لم يلم بتفصيلات ما تقدَّم من أمور التفسير التحليلي؛ لاستجلاء المعنى المراد، ثمَّ صياغته بأسلوب يتناسب مع المدارك الثقافيَّة للمخاطبين». مباحث في التفسير الموضوعي: ١/ ٥٢.

(٤) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: ١/ ٣٤.

القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع الواحد لفظًا أو حكمًا، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية»[١].

يذهب كثير من الباحثين الى أنَّ بدايات التفسير الموضوعي ترجع الى عصر الرسولﷺ، ويذكرون لذلك سببين رئيسين؛ «السبب الأول: إنَّ القرآن الكريم يُفسِّر بعضه بعضًا، والسبب الثاني: إنَّ الرسولﷺ قد استعمل هذا الأسلوب في بيان وتفسير ما أشكل على الصحابة من القرآن الكريم؛ إذ ضَمَّ الآيات إلى بعضها؛ ليتَّضح المعنى، ويتبيَّن المراد»[٢].

«كان النبيﷺ يفسر القرآن، فيربط بين الآيات والآيات، وبين الآيات ومناسبات النزول، ويوازن بين المعاني»[٣]، ففي الرواية المعروفة[٤] بعنوان وصيّة النبيﷺ الى عبداللَّه بن مسعود[٥] المذكورة في بحار الأنوار وهي رواية طويلة فيها موعظة، وتشتمل على موضوعات كثيرة في مكارم الأخلاق؛ إذ يسأل النبيﷺ حول موضوع ما، فيجيبهﷺ بذكر الآيات حوله، ويمكننا القول: إنَّه تفسير موضوعي، ففي موضوع الصبر مثلًا نرى أنَّ الرسول الأكرمﷺ في إجابته ردًّا على سؤال ابن مسعود قد جمع الآيات الكريمة المتعلِّقة بالصبرِ، وكان الرسولﷺ في

---

(١) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي): ١/ ٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) دراسات في التفسير الموضوعي: ١/ ٤٨.

(٤) عن عبد الله بن مسعود، قال: دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابنا يومًا على رسول اللهﷺ وقد أصابتنا مجاعة شديدة ولم يكن ذقنا منذ أربعة أشهر إلَّا الماء واللبن وورق الشجر، قلنا: يا رسول الله إلى متى نحن على هذه المجاعة الشديدة؟ فكانت وصية رسول اللهﷺ ومواعظه له. أنظر: بحار الأنوار:٧٤/ ٩٢-١١٠.

(٥) عبد الله بن مسعود: من أصحاب النبيِّﷺ بجّله وأطراه قوم، وجرحه آخرون؛ أنظر: بحار الأنوار: ٧٤/ ٩٢.

كل تساؤل لابن مسعود فيما يتعلَّق بصعوبة الحياة وشظف العيش يستعرض آيات القرآن الكريم في إجابته. «قال ابن مسعود: يا رسول الله إلى متى نحن على هذه المجاعة الشديدة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزالون فيها ما عشتم فأحدثوا لله شكرًا، فإنِّي قرأت كتاب الله الذي أُنزِل عليَّ وعلى من كان قبلي، فما وجدت من يدخلون الجنَّة إلَّا الصابرون.

يا ابن مسعود قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١)، ﴿أُوْلَـٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾(٢)، ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُواْ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ﴾(٣).

يا ابن مسعود قول الله تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيراً﴾(٤)، و﴿أُوْلَـٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾(٥)، يقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ﴾(٦)، و﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(٧)، قلنا: يا رسول الله، فمن الصابرون؟ قال صلى الله عليه وآله: الذين يصبرون على طاعة الله وعن معصيته، الذين كسبوا طيبًا، وأنفقوا قصدًا، وقدَّموا فضلًا فأفلحوا وأنجحوا، يا ابن مسعود عليهم الخشوع والوقار والسكينة والتفكُّر واللين

(١) سورة الزمر: ١٠.
(٢) سورة الفرقان: ٧٥.
(٣) سورة المؤمنون: ١١١.
(٤) سورة الإنسان: ١٢.
(٥) سورة القصص: ٥٤.
(٦) سورة البقرة: ٢١٤.
(٧) سورة البقرة: ١١٥.

والعدل والتعليم والاعتبار والتدبير والتقوى والإحسان والتحرّج، والحب في الله، والبغض في الله، وأداء الأمانة، والعدل في الحكم، وإقامة الشهادة، ومعاونة أهل الحق، والبغية على المسيء، والعفو لمن ظلم، يا ابن مسعود إذا ابتُلوا صبروا، وإذا أُعطوا شكروا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا عاهدوا وفوا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا أحسنوا استبشروا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، وإذا مروا باللغو مروا كرامًا، والذين يبيتون لربهم سجَّدًا وقيامًا، ويقولون للناس حسنًا، يا ابن مسعود والذي بعثني بالحقِّ إنَّ هؤلاء هم الفائزون»[1].

وفي أُنموذج آخر جاء في حديث النبيﷺ في الزهد عن الدنيا وذمِّها ينقله الفيض الكاشاني، فيقول: «إنَّ أحمق الناس من طلب الدنيا؛ قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوٰلِ وَالأَوْلٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرٰهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطٰماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ﴾[2]، قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[3]؛ يعني: الزهد في الدنيا، وقال الله تعالى لموسى: يا موسى إنه لن يتزيَّن المتزينون بزينة أزين في عيني مثل الزهد، يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلًا، فقل: مرحبًا بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلًا فقل: ذنب عجلت عقوبته.

يا ابن مسعود قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ* وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٧٤، ص ٩٣.
(٢) سورة الحديد: ٢٠.
(٣) سورة مريم: ١٢.

لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]، وقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾[٢].

يا ابن مسعود من اشتاق إلى الجنَّة سارع في الخيرات، ومن خاف النار ترك الشهوات، ومن ترقب الموت أعرض عن اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات.

يا ابن مسعود قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٣].

يا ابن مسعود إنَّ الله اصطفى موسى بالكلام والمناجاة حين ترى خضرة البقل من بطنه من هزاله، وما سأل موسى حين تولَّى إلى الظل إلَّا طعامًا يأكله من جوع»[٤].

وقبل أن أغادر هذا الحديث ألفت عنايتكم الى انتهاج الرسول صلى الله عليه وآله تفسير الثنائيَّات القرآنية في تفسيره الموضوعي، فأخذ الصبر والجزاء، الصبر والجنة، الزهد والطاعة، الزهد وعدم المعصية وهكذا.

ولا يفوتنا أن نذكر كذلك، أسلوب المجلسي في كتابه بحار الأنوار؛ إذ اتَّبع أسلوبًا أشبه بالتفسير الموضوعي؛ فممَّا جاء في باب ثواب الهداية والتعليم،

---

(١) سورة الزخرف: ٣٣- ٣٥.

(٢) سورة الإسراء: ١٨-١٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٤.

(٤) الوافي: ٢٦/ ٢٠٤، وبحار الأنوار: ٧٤/ ٩٤.

وفضلهما، وفضل العلماء، وذمّ إضلال الناس: «﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾(١)، ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَـٰئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾(٣)، ﴿لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(٥)، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(٦)، ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾(٧)، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ اتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾(٨)، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٩)، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(١٠)، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ

---

(١) سورة هود: ١٨- ١٩.

(٢) سورة إبراهيم: ٣.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٠.

(٤) سورة النحل: ٢٥.

(٥) سورة النحل: ١٢٥.

(٦) سورة الأنبياء: ٧٣.

(٧) سورة القصص: ٨٧.

(٨) سورة العنكبوت: ١٢- ١٣.

(٩) سورة السجدة: ٢٤.

(١٠) سورة الأحزاب: ٧٠- ٧١.

* فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ جَزَآءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2]، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾[4]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[5]، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾[6]»[7].

ثمَّ ينتقل المجلسي في بحار الأنوار لذكر الأحاديث بعد جمع الآيات في موضوع محدَّد فكأنَّه محاكاة للتفسير الموضوعي.

ورُوِي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «سلوني، والله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلَّا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلَّا وأنا أعلم أ بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل»[8]، فيعد عليه السلام أوَّل مَن وضع بفكره الثاقب، ونظره الصادق في القرآن الكريم اللبنة الأولى في منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم الذي ما زال – حتَّى عصرنا هذا – يتحسَّس طريقه، ويخطو خطواته الأولى عليه، فقد كان الإمام عليّ عليه السلام يجمع الآيات في الموضوع الواحد؛ ليستخلص

(١) سورة فصلت: ٢٦- ٢٩.
(٢) سورة فصلت: ٣٣.
(٣) سورة الذاريات: ٥٥.
(٤) سورة الأعلى: ٩.
(٥) سورة الغاشية: ٢١.
(٦) سورة العصر: ٣.
(٧) بحار الأنوار: ٢/ ٢.
(٨) الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ٢/ ٤٤.

منها جميعًا حكمًا صادقًا يفسِّر فيه القرآن بعضه بعضًا. ويدلّ على هذا ما رواه ابن حزم «أنَّ عليًّا ذكّر عثمان حين أراد إقامة حدِّ الزنى على من وضعت بعد زواجها بستة أشهر بقول الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[١] مع قوله: ﴿وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ﴾[٢]، فرجع عثمان عن إقامة الحدِّ عليها»[٣].

ومن ذلك ما رُوي عن أبي الحسن الكاظم(عليه السلام) في مقام بيان منزلة العقل بذكر الآيات المرتبطة بـ (أولي الألباب) فيجمعها كلّها لهشام، ثمَّ يذكر سبع آيات من القرآن المجيد تتكلَّم عن منزلة أولي الألباب[٤].

يتبيَّن ممَّا سبق تلك «البصمة الواضحة للإمام علي(عليه السلام) في التفسير، وإسهامه الواضح في تطوره»[٥].

والتفسير الموضوعي كما أسلفنا «علم وضعه الأوائل»[٦]، ثمَّ بعد ذلك أخذ منحًى آخر، فبرز في مجال الفقه ونما وتطوَّر كثيرًا، وكان ذلك بأن تجمع الآيات

---

(١) سورة الأحقاف: ١٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٣) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي): ١/ ٢٢٠.

(٤) شرح أصول الكافي: ٩٢، إذ قال: " ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٦٩]، وقال: ﴿وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: آية ٧]، وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱلَّيلِ وَٱلنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٩٠]، وقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ﴾ [سورة الرعد: آية ١٩]، وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَآءَ ٱلَّيلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: آية ٩]، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: آية ٢٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ ٱلْكِتَابَ﴾ [سورة غافر: آية ٥٣] ".

(٥) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي): ١/ ٢٢٠.

(٦) دراسات في التفسير الموضوعي: ٣١.

الخاصة بحكم شرعيّ معين، المتعلّق بعمل المكلف في حياته اليومية، ولعلَّ «أوّل من طرق هذا الباب لفيف من علماء الشيعة عند تفسيرهم آيات الأحكام الشرعية المتعلّقة بعمل المكلف في حياته الفردية والاجتماعية، فإنّ النمط السائد على تآليفهم في هذا الصعيد هو جمع الآيات المتفرقة الراجعة إلى موضوع واحد في مبحث واحد، فيفسرون ما يرجع إلى الطهارة في القرآن في باب واحد، كما يفسرون ما يرجع إلى الصلاة في مكان خاص، وهكذا سائر الآيات»[١]، ثم ألّفت في هذا المجال كتب متعدِّدة[٢]، وقد أشار الذهبي الى طريقة التفسير الموضوعي لآيات الأحكام للسيوري الأسدي، وهو أحد أعلام الحلة في القرن التاسع الهجري؛ وهي مخالفة لما قام به الجصاص وابن عربي اللذان اعتمدا طريقة تفسير سورة سورة فقال: «يتعرَّض هذا التفسير – يقصد كنز العرفان في فقه القرآن للسيوري– لآيات الأحكام فقط، وهو لا يتماشى مع القرآن سورة سورة على حسب ترتيب المصحف؛ ذاكراً ما في كلِّ سورة من آيات الأحكام، كما فعل الجصَّاص وابن عربي مثلًا، بل طريقته في تفسيره: أنَّه يعقد فيه أبواباً كأبواب الفقه، ويدرج في كلِّ باب منها الآيات التي تدخل تحت موضوع واحد، فمثلاً يقول: باب الطهارة، ثم يذكر ما ورد في الطهارة من الآيات القرآنية، شارحاً كلَّ آية منها على حدة، مبيِّنًا ما فيها من الأحكام على حسب ما يذهب إليه الإمامية الاثنا عشرية في فروعهم»[٣].

إنَّ التفسير الموضوعي يتناسب تمامًا والحياة في جميع مناحيها؛ ولا يمكن أن نجد نظرية لرسم خطوات التحرك والتفاعل في أمر ما بآية واحدة، وإن كان ذلك

(١) مفاهيم القران: ١/ ٨.

(٢) نحو: منهاج الهداية في شرح آيات الأحكام الخمسمائة، وكتاب: كنز العرفان في فقه القرآن، وكتاب غرر الفوائد ودرر القلائد، وغيرها كثير.

(٣) التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٠٨.

ممكنًا في تحديد البوصلة، أو الحكم، ولكن لا ترسم المقصد القرآني الكامل من جميع أوجهه، وليس مستغربًا أن نجد الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام وغيرهما اتَّسمت إجاباتهما على إشكالات السائل؛ فإنَّهما لا يكتفيان فيها بذكر آية واحدة في موضوع معين؛ بل على آيات متعددة لتغني الإجابة، وتزينها بكل أبعاد المسألة، وهذه هي الغاية من التفسير الموضوعي.

وهذا ما تمّ في تفسيري الميزان والأمثل؛ كنموذجين قد جمعا بين التفسيرين التجزيئي والموضوعي. فمثلا: تناول الشيخ مكارم الشيرازي في تفسير الأمثل موضوع الإيمان والإنفاق في سبيل الله فاستعرض عبر بواعث الإنفاق، وشروط الإنفاق في سبيل الله[1]، والسابقون في الإيمان والجهاد والإنفاق.

ثانيا: الثنائيَّات القرآنيَّة في إبراز مفاهيم مهمَّة، ووضع منهجيَّة للتفسير الموضوعي

تستخدم الثنائيَّات غالبًا لتسليط الضوء على مفاهيم مهمة في القرآن. على سبيل المثال، مثلا ثنائيَّة الحياة الدنيا والآخرة، وما يتعلَّق بها من ثنائيَّات أُخر كالملك والملكوت، والغيب والشهادة، والوحي والنبوة، واللوح المحفوظ والقرآن الكريم، والملائكة والجن والإنس، وغيرها كثير. وثنائيَّة الإصلاح والإفساد، وثنائيَّة الحقوق والواجبات، وثنائيَّة المخلوق وخالقه، وثنائيَّة العمل والجزاء، كما أنَّ هنا: ثنائيَّة الجدل والحوار، وثنائيَّة الخلق والأمر، وثنائيَّة الأحديَّة والتعدّديَّة، وثنائيَّة المفهوم والوجود، وثنائيَّة جبرائيل والروح الأمين، وثنائيَّة الملائكة والشياطين، وثنائيَّة الرسول والرسالة، وثنائيَّة العبوديَّة والحريَّة، وهناك ثنائيَّات جغرافيَّة وتاريخيَّة وقصصيَّة وبلاغيَّة وغيرها كثير. وقد أُلِّفت عشرات الكتب

(١) الأمثل: ١٨/ ١٩-٢٤-٢٧.

حولها[١]، لنأخذ مثالاً آخر وهو ثنائيَّة الجنة والنار[٢]، ولتكن هي محور الموضوع؛ فإنَّها ستتجمَّع حولها ثنائيَّات عديدة تشترك معها موضوعيًّا، منها ثنائيَّة الثواب والعقاب[٣]، وثنائيَّة الإيمان والكفر[٤]، وثنائيَّة الخير والشر[٥]، وثنائيَّة الحقّ والباطل[٦]، وثنائيَّة النعيم والجحيم[٧]، وثنائيَّة ثقل الميزان وخفته[٨]، وثنائيَّة الرحمة والغضب، وثنائيَّة السعادة والشقاء[٩]، وهكذا.

وبرسم هيكليَّة لمركز ما من ثنائيَّة معيَّنة فإنَّها سترتبط معها ثنائيَّات أُخر تشترك معها بالموضوع، وهذه الهيكليَّة ستسهل كثيرًا في رسم صورة واضحة

(١) الجنة في القرآن الكريم، أوصافها، أهلها، نعيمها، والتوحيد والشرك في القرآن الكريم، والتوحيد والشكر في سورة النحل، والحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته، والروح والنور في القرآن الكريم، طهارة الروح، تفسير سورة النور، وسيرة وصورة الإنسان من نظر القرآن الكريم، والماء في القرآن: دراسة موضوعية، والمعاد والقيامة في القرآن، والملعونون في القرآن، ومن التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، العقل والعلم في القرآن الكريم، والمنافقون في القرآن الكريم، والمؤمنون في القرآن، ونظرية السلطة في القرآن الكريم، الاستكبار والتمكين، والوحي والنبوة.

(٢) ﴿أُوْلَـٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٢١].

(٣) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٠٦].

(٤) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً آمِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٠٦].

(٥) ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لاَ ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٥٦].

(٦) ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [سورة الإسراء: آية ٨١].

(٧) ﴿إِنَّ ٱلأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [سورة الانفطار: اية ١٣-١٤].

(٨) ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ*وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنْفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ﴾ [سورة الأعراف: اية ٨-٩].

(٩) ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [سورة هود: آية ١٠٦]، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلأَرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [سورة هود: آية ١٠٨].

لتفسيرها تفسيرًا موضوعيًّا ومن دون أدنى شك لا يمكن أن تناقش كلُّ ثنائيَّة ما لم يُستَوفَ تفسيرُ كلِّ جزء منها بالتفصيل، وتتوضَّح لنا عندئذ كثيرًا من الحقائق والمشاهد، والمفاهيم والصور القرآنية.

وفي هذا التصوُّر سيكون التفسير التجزيئي، وكلُّ أنواع التفسير الأُخر[1] أداة يستكمل بها التفسير الموضوعي للثنائيَّات، وبمجموعها كلِّها لاستكمال التفسير الموضوعي للثنائيَّة التي هي محور الموضوع الرئيس، وبذلك تستكمل باقي مواضيع القرآن الكريم، ومن فوائد تفسير الثنائيات إنَّها ستحدّ الى حدّ ما من التأثير الثقافي والبيئي للمفسر على طبيعة التفسير واستبعاد رأي المفسر في الموضوع نظرًا لترابط المواضيع؛ ممَّا يقلِّل حتمًا من هذه الإشكالات، والتأويلات وكذلك الركون لأحاديث غير معتبرة، ألم يتمظهر التفسير بالرأي بعد انقطاع الأثر في فترات مختلفة من التاريخ؟ وهذا ابن القيِّم يكتب في فصل (الوعيد على القول بالرأي) فيقول: «وقالت طائفة من أهل العلم: مَنْ أدّاه اجتهادهُ إلى رأي رآه ولم تَقُمْ عليه حجَّة فيه بعد فليس مذمومًا، بل هو معذور، خالفًا كان أو سالفًا، ومَنْ قامت عليه الحجَّة فعانَدَ وتمادى على الفتيا برأي إنسان بعينه، فهو الذي يَلْحَقه الوعيد»[2].

(١) التفسير الموضوعي للمصطلحات القرآنية، التفسير الإجمالي، التفسير التحليلي، التفسير المقارن.
(٢) إعلام الموقعين: ٢/ ٩٩.

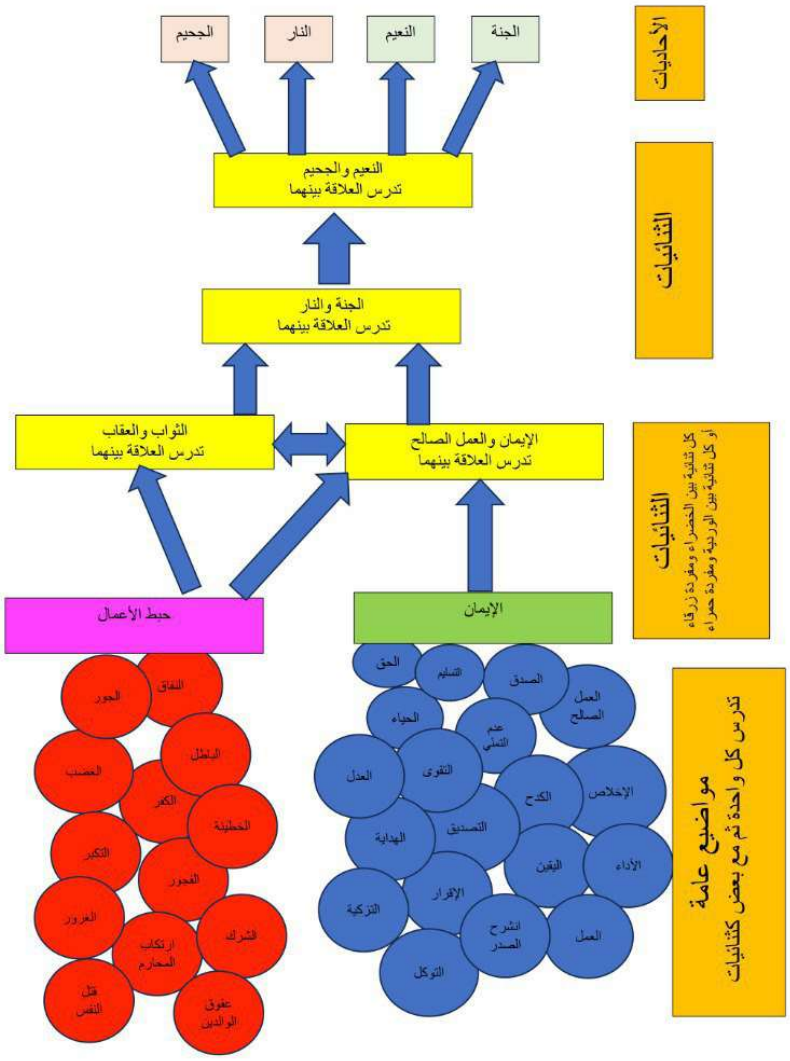
الأحاديات
الجنة
النعيم
النار
الجحيم
الثنائيات
النعيم والجحيم
تدرس العلاقة بينهما
الجنة والنار
تدرس العلاقة بينهما
الثواب والعقاب
تدرس العلاقة بينهما
الإيمان والعمل الصالح
تدرس العلاقة بينهما
الثنائيات
كل ثنائية بين الخضراء ومفردة زرقاء
أو كل ثلاثية بين الوردية ومفردة حمراء
حبط الأعمال
الإيمان
النفاق
الجور
الباطل
العصب
الكفر
الخطيئة
التكبر
الفجور
الغرور
الشرك
ارتكاب
المحارم
قتل
النفس
عقوق
الوالدين
الحق
التسليم
الصدق
العمل
الصالح
الحياء
عدم
التملي
العدل
التقوى
الإخلاص
الكد
التصديق
الهداية
اليقين
الأداء
الإقرار
التزكية
انشراح
الصدر
العمل
التوكل
مواضيع عامة
تدرس كل واحدة ثم مع بعض كثنائيات

المحور الثالث: إسهام أهل البيت عليهم السلام في فهم المعاني العميقة للثنائيّات القرآنية

تسهم أقوال أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم بشكل كبير جدًّا؛ لما امتازوا به من ارتباطهم بالرسول صلى الله عليه وآله عبر أحاديثه، وبالمعرفة والحكمة والقدرة على فهم القرآن الكريم بطريقة عميقة وشاملة، وتأتي أهمِّيَّة أقوالهم عليهم السلام في التفسير والتأويل والتدبّر للقرآن الكريم، لأسباب مهمة؛ منها:

أولا: العلم والمعرفة:

يُعدُّ أهلُ البيت عليهم السلام مصادر رئيسية للعلم والمعرفة في الإسلام؛ فهم يمتلكون المعرفة العميقة بالقرآن وسنَّة النبيِّ صلى الله عليه وآله، وأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو الذي خصَّه اللّه ببيان ما أنزل الى الناس من ربِّهم، وتعليمه إيَّاهم كما قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. فمن يتصدَّى للدفاع عن القرآن الكريم لابد أن يكون واسع المعرفة ويرجع المتشابه من الآيات الى المحكم كما تشير إلى ذلك الروايات الكثيرة. ومن يقدر على ذلك غير ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[2]، وهم محمَّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير المتشابه والمحكم: «إنّ القرآن محكم ومتشابه: فأمَّا المحكم فتؤمن به وتعمل به وتدين، وأمَّا المتشابه فتؤمن به ولا تعمل به هو قول الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[3]، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ: هم آل محمَّد»[4]. فهم يتميَّزون بثباتهم القوي فيما

(١) سورة النحل: ٤٤.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(٣) سورة آل عمران: ٧.

(٤) تفسير العياشي: ١/ ١٦٣.

يعرفون، ولا يتزلزلون أمام ما يجدونه في القرآن؛ الواثقون بعلمهم ويعملون وفقًا له، ولا تختلط عليهم المتشابه من الآيات، بل يمتلكون القدرة على ردِّها إلى المحكمات، وأنَّ أهل البيت عليهم السلام هم القادرون على تفسير الآيات وشرح مفاهيمها بطريقة تنقل فيها الرسالة بوضوح ودقّة؛ فقَالَ صلى الله عليه وآله في حقِّهم «أُوصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِي فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَأَعْطَانِي ذَلِكَ»(١)، وَقَالَ صلى الله عليه وآله: «لاَ تُعَلِّمُوهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ»(٢)؛ لأنَّهم قرنوا بالقرآن الكريم فهما الثقلان؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنِّي تاركٌ فيكم الثّقلين أحدُهُما أكبرُ من الآخر؛ كتابُ الله وأهل بيتي إن تمسكتم بهما لن تضلُّوا» (٣).

فالإمام عليُّ بن أبي طالب عليه السلام كان معروفًا بتفسيره العميق للقرآن؛ قال عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتها ببابها» (٤)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي أنت تعلّم الناس تأويل القرآن بما لا يعلمون»(٥)، وفي شأن معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالتفسير يروي القندوزي عن ابن عباس فيقول: «قال ابن عباس: أُعطي الإمام علي تسعة أعشار العلم، وإنَّه لأعلمهم بالعشر الباقي، وقال أيضًا: أخذ بيدي الإمام علي ليلةً فخرج بي الى البقيع، وقال: اقرأ يا بن عباس، فقرأت بسم اللّه الرحمن الرحيم، فتكلَّم في أسرار الباء الى بزوغ الفجر»(٦).

وهناك العديد من الأمثلة التي تؤكِّد على أثر أهل البيت عليهم السلام بوصفهم مصدرًا

---

(١) المصدر نفسه: ١/ ٢٥٠.
(٢) اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٢٢٤.
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٦٨.
(٤) التفسير الصافي: ٤/ ١٨٨.
(٥) وسائل الشيعة: ١٨/ ١٤٥.
(٦) ينابيع المودة: ٣/ ٢١٠.

رئيسًا للعلم والمعرفة في الإسلام؛ أهل البيت عليهم السلام قدَّموا تفسيرًا موضوعيًّا للقرآن الكريم بشكل عميق وشامل، «وأنَّ أول من نبّه على هذا النوع من التفسير هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[١]، وقد سار على هذا المنهج جملة من الصحابة أمثال الإمام علي بن أبي طالب وأُبيِّ بن كعب وعبد اللّه بن مسعود رضوان اللّه عليهم وغيرهم»[٢]؛ يوجد بين أيدينا تفسيرٌ ينسب للإمام العسكري، وتفسير للشهيد زيد بن علي، ويستعرض الشيخ محمد هادي معرفة[٣] نماذج مختارة من صحاح التفاسير المأثورة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ثمَّ يذكر الطهراني «أنَّ أوسط التفاسير الثلاثة التي ألَّفها المحدِّث الفيض المولى محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني المتوفَّى سنة ١٠٩١ انتخبه من تفسيره الكبير الموسوم بالصافي، وأوجز فيه وأنهاه إلى أحد وعشرين ألف بيت، اقتصر على تفاسير أهل البيت عليهم السلام»[٤].

ويلخّص الشيخ حبّ الله[٥] أقدم كتب التفسير التي تناولت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام آخذًا نماذج منها.

كما وقدّم كلٌّ من الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام تفسيرات دقيقة للقرآن ساعدت الأمَّة على فهم المقاصد القرآنية.

وفي حديث «عن نصير عن سليمان الأحمسي، عن أبيه قال، قال: علي والله ما نزلت آية إلَّا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إنَّ ربي وهب لي قلبًا

---

(١) سورة الأنعام: ٨٢.

(٢) الامام الباقر عليه السلام وأثره في التفسير: ١/ ١٨٤.

(٣) التفسير والمفسرون: ١/ ٤٥٣.

(٤) الذريعة: ٢/ ١٢٤.

(٥) دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر: ١/ ٤٨٧.

عقولًا ولسانًا طلقًا، وورد عن أبي الطفيل قال: قال عليّ: سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلّا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل»[١].

يُظهر هذا الحديث الأهمّيّة الكبيرة التي يمكن أن يلعبها أهل البيت عليهم السلام في فهم القرآن، وتقريبه لأذهان الناس.

ثانيا: أسلوب أئمّة أهل البيت عليهم السلام في المحكم والمتشابه

ورد في تفسير المحكم والمتشابه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «فأما المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به، وأمّا المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به، هو قول الله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾[٢] والراسخون في العلم آل محمد» [٣].

يقول السيد الطباطبائي: «ما نفهمه من ملخَّص ما أُثر عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام هو نفي وجود آية متشابهة لا يمكن معرفة مدلولها الحقيقي، بل الآيات التي لم تستقل في مداليلها الحقيقية يمكن معرفة تلك المداليل بواسطة آيات أُخر، وهذا معنى إرجاع المتشابه الى المحكم؛ إنَّ ظاهر قوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ...﴾[٥] يدلُّ على الجسميَّة، وأنَّ الله تعالى مادة، ولكن لو أرجعناهما الى قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾[٦] علمنا أنّ الاستواء والمجيء

(١) الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٥٧.
(٢) سورة آل عمران: ٧.
(٣) تفسير العياشي: ١/ ١٦٣.
(٤) سورة طه: ٥.
(٥) سورة الفجر: ٢٢.
(٦) سورة الشورى: ١١.

ليس بمعنى الاستقرار في مكان أو الانتقال من مكان الى مكان آخر.

قال النبي صلى الله عليه وآله وهو يصف القرآن الكريم: (وإنّ القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً، ولكن نزل يصدِّق بعضه بعضاً، فما عرفتم فاعملوا به وما تشابه عليكم فآمنوا به)[١]، وقال علي عليه السلام: (وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَىَ بَعْضٍ)[٢]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما اشتبه على جاهله)[٣]، ونقل عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: (مَن ردّ متشابه القرآن الى محكمه هدي الى صراط مستقيم، ثمَّ قال: إنّ في أخبارنا متشابهًا كمتشابه القرآن، فردُّوا متشابهها الى محكمها، ولا تتَّبعوا متشابهها فتضلُّوا)[٤].

إنّ هذه الأحاديث وخاصة الأخير منها صريحة في إنّ الآياتِ المتشابهةِ هي الآيات التي لا تستقلُّ في مدلولها، بل لا بدَّ من ردِّها الى الآيات المحكمة، ومعنى هذا -كما أسلفنا- أنّه ليس في القرآن آية لا يمكن معرفة معناها بطريق من الطرق»[٥].

ثالثا: أثر أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن من خلال ثنائيَّاته

تُقدِّمُ أقوالُ أهل البيت عليهم السلام تفسيرات شافية وشاملة للقرآن الكريم، يمكن الرجوع إليها لفهم معاني القرآن بشكل أعمق وتفصيلي؛ ممَّا يُمكّن المسلمين من تحقيق فهم أفضل للقرآن، ومن بين تفسير الثنائيَّات القرآنيَّة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هي ثنائيَّة التوبة والاستغفار، والتأكيد على البصيرة والوعي والثقة بالنفس في تفسيره

(١) الدر المنثور: ٢/ ١٤٩.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٨/ ٢٨٧.
(٣) تفسير العياشي: ١/ ١٦٢.
(٤) عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٩٠.
(٥) القرآن في الإسلام: ١/ ٥١.

للآيتين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١)، ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾(٢)، «قال أبو جعفر عليه السلام: أما إنّ أصحاب محمَّد قالوا: يا رسول الله نخاف علينا من النفاق؟ قال: فقال صلى الله عليه وآله: ولِمَ تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكَّرتنا ورغَّبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتَّى كنَّا نعاين الآخرة والجنَّة والنَّار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحالة التي كنَّا عليها عندك، وحتَّى كأنَّا لم نكن على شيء، أ فتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقًا؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: كلَّا، إنَّ هذه خطوات الشيطان، فيرغِّبكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة، ومشيتم على الماء، ولولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله تعالى لخلق خلقًا حتَّى يذنبوا فيستغفروا الله تعالى فيغفر لهم، إنّ المؤمن مفتن توَّاب، أما سمعت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾(٤)»(٥).

ويتناول أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير ثنائيَّة الخالق والمخلوق بقوله: «عِظَمُ اَلْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ اَلْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ»(٦). وفي خطبة الإمام علي عليه السلام التي تتضمَّن التوحيد يتناول ثنائيَّة التوحيد والصفات فيقول: «وَ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ لاَ يُدْرَكُ بِوَهْمٍ وَ لاَ يُقَدَّرُ

(١) سورة البقرة: ٢٢٢.
(٢) سورة هود: ٩٠.
(٣) سورة البقرة: ٢٢٢.
(٤) سورة هود: ٩٠.
(٥) الكافي: ٤/ ٢١٤.
(٦) شرح نهج البلاغة: ١٨/ ٥.

بِفَهْمٍ وَ لاَ يَشْغَلُهُ سَائِلٌ وَ لاَ يَنْقُصُهُ نَائِلٌ وَ لاَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ وَ لاَ يُحَدُّ بِأَيْنٍ وَلاَ يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ وَ لاَ يَخْلُقُ بِعِلاَجٍ وَ لاَ يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ وَ لاَ يُقَاسُ بِالنَّاسِ اَلَّذِي كَلَّمَ مُوسىَ تَكْلِيماً وَ أَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً بِلاَ جَوَارِحَ وَ لاَ أَدَوَاتٍ وَ لاَ نُطْقٍ وَ لاَ لَهَوَاتٍ بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا اَلْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ فَصِفْ جِبْرِيلَ وَ مِيكَائِيلَ وَ جُنُودَ اَلْمَلاَئِكَةِ اَلْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ اَلْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ اَلْخَالِقِينَ وَ إِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو اَلْهَيْئَاتِ وَ اَلْأَدَوَاتِ وَ مَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ فَلاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلاَمٍ وَ أَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ»[١].

وفي قول النبيِّ صلى الله عليه وآله في ثنائيَّة الاستقامة والتقوى، أن سأله أحد أصحابه فقال: «قل آمنت بالله، ثمَّ استقم قال: فما أتَّقي؟ فأومأ بيده إلى لسانه»[٢]، وقد تناولت الآية الشريفة تلك الثنائيَّة: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣].

انظر الى تفسير الإمام الباقر عليه السلام لثنائيَّة الأمانة والخيانة في تفسيره للآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[٤] فقال: «إنَّ أداء الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجِّ من الأمانة، ويكون من جملتها الأمر لولاة الأمر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك مما يتعلَّق به حقُّ الرعيَّة، وقد عظم الله سبحانه أمر الأمانة بقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الأَعْيُنِ﴾[٥]، وقوله: ﴿لَا تَخُونُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾[٦]، وقوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مَنْ إِن

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٨٨.
(٢) المصدر نفسه: ١٠/ ١٣٦.
(٣) سورة هود: ١١٢.
(٤) سورة النساء: ٥٨.
(٥) سورة غافر: ١٩.
(٦) سورة الأنفال: ٢٧.

تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾[1]»[2]؛ نرى تركيز الإمام الباقر عليه السلام على أداء الأمانة، وذكر من قاموا بأدائها من بعض أهل الكتاب، فإنَّه يؤكِّد بالمقابل عِظم جريمة الخيانة، فالأمانة والخيانة مترابطان، فمَن يؤدِّي الأمانة كاملة فقد نبذ الخيانة والعكس صحيح، وهناك كثير من الآيات التي فسَّرها الإمامان الباقران عليهما السلام تجد تفسيرها في مضانِّها[3].

وفي ثنائيَّة إبرام العقود ونكثها يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[4] يتناول أمير المؤمنين تطبيقًا واقعيًّا يلزم به عامله مالك الأشتر في عهده الذي دفعه إليه فيقول: «وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شيء اَلنَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اِجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ اَلْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ اَلْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ اَلْمُسْلِمِينَ؛ لِمَا اِسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ اَلْغَدْرِ، فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ»[5].

إنَّ أهلَ البيت عليهم السلام عاشوا القرآن الكريم في كلِّ لحظةٍ من حياتهم فعلًا وانفعالًا وتفاعلًا مع الحياةِ بكلِّ أبعادها. ومن إرشاد الأمَّة لتبيين العيش المتوازن في ثنائيَّة الإنفاق والتبذير؛ عن الصادق عليه السلام في: «رجل رزقه الله تبارك وتعالى مالًا، ثمَّ أنفقه في البر والتقوى فلم يبق له منه شيء، وهو في ذلك يدعو الله أن يرزقه، فهذا

(١) سورة آل عمران: ٧٥.
(٢) مجمع البيان: ٣/ ١١٢.
(٣) انظر: تفسير العياشي: ٢/ ٤٠، وتفسير القمي: ٢/ ٥٠، وبحار الأنوار: ٣/ ٧١، ومجمع البيان: ٣/ ١١٢، وغيرها كثير.
(٤) سورة الفتح: ١٠.
(٥) شرح نهج البلاغة: ١٧/ ١٠٦.

يقول له الربُّ تبارك وتعالى: أولم أرزقك وأغنيك أفلا اقتصدت ولم تسرف؛ إنِّي لا أحب المسرفين»[١] في إشارة للآية الشريفة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾[٢]، فيوصينا أهل البيت عليهم السلام في ترجمة الآية أن نتوقف عن التبذير في الإنفاق، وأن نمسك جزءًا من أموالنا بما تتطلبه الحاجة، ونتبرَّع بالفائض منه، وبما ليس لنا به حاجة ضرورية في الصدقة، لنحتفظ به ليوم الحاجة، الذي هو يوم البعث والمحشر.

في هذا التصوّر وجّه أمير المؤمنين عليه السلام زياداً بالقول: «فَدَعِ اَلْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً وَاُذْكُرْ فِي اَلْيَوْمِ غَداً وَأَمْسِكْ مِنَ اَلْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَقَدِّمِ اَلْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ أَ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ اَلْمُتَوَاضِعِينَ وَ أَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ اَلْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَتَطْمَعُ وَ أَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي اَلنَّعِيمِ أَنْ تَمْنَعَهُ اَلضَّعِيفَ وَ اَلْأَرْمَلَةَ وَ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ اَلْمُتَصَدِّقِينَ؟ وَإِنَّمَا اَلْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَ قَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ وَ اَلسَّلَامُ»[٣].

وفي مثال أخير لأثر أهل البيت عليهم السلام في تفسير الثنائيَّات القرآنيَّة نتناول ثنائيَّة العقل والجهل في الآية الشريفة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[٤]، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَطِعْ رَبَّكَ تُسَمَّى عَاقِلًا، وَلَا تَعْصِهِ تُسَمَّى جَاهِلًا»[٥].

رابعا: الترجمة العملية

الأئمَّة عليهم السلام هم مصداق الاستدلال الواضح والأكمل بعلمهم في تفسير

(١) قرب الإسناد: ١/ ٧٩.
(٢) سورة الإسراء: ٢٩.
(٣) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٣٩.
(٤) سورة البقرة: ١٧٠.
(٥) حلية الأولياء: ٦/ ٣٤٥.

القرآن، وهذا مُظهر عملي ولفظي من كبار علماء المذاهب الإسلامية؛ إذ لم يأخذوا علمهم عن أحد، بينما كان المسلمون جميعًا يلجؤون إليهم لفهم معاني الآيات ومقاصدها، فأقوال أهل البيت عليهم السلام ليست مجرد تفسير نظري للقرآن، بل تتعامل مع الواقع، والتَّحدِّيات اليوميَّة التي يواجهها المسلمون، وهذا يجعل أقوالهم مصدرًا موثوقًا للهداية وتوجيه الأمَّة، وممَّا جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى طهَّرَنا وعصمنا، وجعلنا شهداء على خلقه، وحجَّته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا»[١]؛ بمعنى أوضح: ما ثبتَ للقرآن الكريم من أنَّه الهادي[٢]، وأنَّه الحق[٣]، وأنَّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه[٤]، وأنَّه عُصِمَ من الزللِ والخطأ والاختلافِ، ثبَتَ للأئمَّةِ عليهم السلام؛ لأنهَّم عِدلُ القرآن والثقل الآخر؛ فهم الهداة ما دامت السموات والأرض، عن بريد العجلي، «عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[٥] قال: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله الْمُنْذِرُ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ مِنَّا هَادٍ يَهْدِيهِمْ إِلى مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وآله، ثُمَّ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيٌّ، ثُمَّ الْأَوْصِيَاءُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ»»[٦]، وهم القرآن الناطق: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه، إن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو

---

(١) مرآة العقول: ٢/ ٣٤٣.

(٢) ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء: ٩].

(٣) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [سورة البقرة: ١١٩].

(٤) ﴿لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢].

(٥) سورة الرعد: ٧.

(٦) الكافي: ١/ ٤٧٤.

سألتموني عنه لعلَّمتُكم»[1].

لقد جسّد أهل البيت عليهم السلام الخُلُق القرآني بأكمله، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يصفه القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وهناك مئات الأحاديث التي تحكي العلاقة بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام.

فكانوا يعيشون حياة مبنيّة على الأخلاق والقِيَم الإسلامية، وأقوالهم تحمل معاني أخلاقيَّة عميقة تسهم في توجيه الناس نحو السلوك الصالح والتقوى.

وعليهِ تُعدُّ أقوال أهل البيت عليهم السلام مصدرًا غنيًّا ومهمًا لفهم القرآن الكريم، وتوجيه الناس نحو السلوك الصالح والحياة الدينيَّة الصحيحة، كما يجبُ على المسلمين الإفادة من هذه الأقوال في تفسير القرآن وتطبيقها في حياتهم اليومية.

---

(١) المصدر نفسه: ١/ ٦١.

(٢) سورة القلم: ٤.

الخاتمة

انتهى البحث الى أنَّ حركيَّة الإنسان في الحياة الدنيا تكونُ تبعًا لخلق الله تعالى، فهو في حركة دائبة للخلاص بالأحسن والأكمل، ومنها ثنائيَّة الكدح والجزاء ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾[1] والقرآن الكريم يعجّ بهذه الثنائيَّات لبناء الإنسان وتعزيز قدراته لهدايته نحو الفلاح والفوز بالجنة. وتنتهي حركته في الحياة بنتيجة واحدة من كلِّ تلك الثنائيَّات، وأنَّ الأثر المعتبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام حافل بتناول هذه الثنائيَّات في تفسير الآيات الشريفة؛ فأهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن، ولن يفترقا عنه، علمًا ومنهجًا وسلوكًا وتبيانًا للناس.

وينطوي البحث على تسخير الثنائيَّات القرآنيَّة في التفسير الموضوعي للقرآن مثل تفسير ثنائيَّة الحق والباطل، أو ثنائيَّة الإيمان والتسليم، وربط تفاسير الثنائيَّات المشتركة بموضوع معيَّن صعودًا لتفسير موضوعي لموضوع كبير في القرآن الكريم مثل التوحيد، ومعلوم أنَّ كلَّ الثنائيَّات القرآنيَّة تنتهي بوحدانيَّة الله جلَّت قدرته، ولا نغفل عن إسهام النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في هذا المشروع، وهم أوَّلُ مَن بدأه.

(١) سورة الانشقاق: ٦.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

١. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، محمد بن عمر الكشي (ق ٤)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٥.

٢. الأصول من الكافي، الشيخ الكليني (٣٢٩ هـ)، دار الحديث، قم، ١٤٢٩.

٣. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (١٣٥٦ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥.

٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ)، دار ابن الجوزي للنشر، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣.

٥. الأمالي، غرر الفوائد ودرر القلائد: الشريف المرتضى (٤٣٦ هـ)، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٩٠٧.

٦. الامام الباقر عليه السلام وأثره في التفسير، حكمت عبيد الخفاجي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤٢٦.

٧. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٥.

٨. أمر بين أمرين ثنائيات الإنسان والكون بمنطق التأويل والتفسير، محمد خاقاني، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٩.

٩. بحار الأنوار، المجلسي (١١١١ هـ) دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٣.

١٠. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني البحراني الكتكاني (١١٠٩ هـ)، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم.

١١. البرهان في علوم القرآن، بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ الزَّرْكَشِيّ (٩٧٤ هـ)،

دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٩٥٧.

١٢. تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (٣٣٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.

١٣. التفسير الأثري الجامع، محمد هادي معرفة (١٤٢٧ هـ)، مؤسسة فرهنگي انتشاراتي التمهيد، قم، ١٤٩٢.

١٤. التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني (١٠٩١ هـ)، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٨.

١٥. تفسير الإمام العسكري، المنسوب للإمام العسكري (٢٦٠ هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩.

١٦. تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (٤٢٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢.

١٧. تفسير أبو حمزة الثمالي، أبو حمزة الثمالي ثابت بن دينار (١٤٨ هـ)، جمع عبد الرزاق حسين حرز الدين، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١٨. تفسير السمرقندي، أبو الليث السمرقندي (٣٨٣ هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٩. تفسير الشهيد زيد بن علي عليه السلام (١٢٠ هـ)، المسمى تفسير غريب القرآن، دراسة وتحقيق: الدكتور حسن محمد تقي الحكيم الدار العالمية للطباعة والنشر وتوزيع، بيروت، ١٩٩٢.

٢٠. التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، مؤسسة الهادي، قم، ١٤١٦ هـ.

٢١. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ٢٠٠١.

٢٢. تفسير العياشي، النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (٣٢٠هـ)، المطبعة العلمية، طهران، ١٣٨٠.

٢٣. تفسير فرات الكوفي، الشيخ أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (٣٥٢ هـ)، تحقيق الأستاذ محمد كاظم، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي في إيران، ١٩٩٠.

٢٤. تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير البصري الدمشقي الشافعي (٧٧٤ هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩.

٢٥. تفسير كبير منهج الصادقين في إلزام المخالفين (بالفارسي)، ملا فتح الله الكاشاني (٩٨٨ هـ)، كتاب فروشي، محمد حسن علمي، طهران، ١٣٧٨.

٢٦. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الميرزا محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمّي المعروف بالمشهدي (١١٢٥ هـ)، تحقيق: حسين دركاهي، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، طهران، ١٤٠٧.

٢٧. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ١٤٣٢.

٢٨. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (١٥٠ هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣.

٢٩. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: دراسة نظرية تطبيقية مرفقة بنماذج ولطائف، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس، الأردن، ٢٠١٢.

٣٠. التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، زيد عمر العيص، دار مودة، ط ٢، ٢٠١١.

٣١. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ٢٠١٠.

٣٢. التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي ميزان، عبد الجليل عبد الرحيم، ط١،

عمان، ١٩٩٢.

٣٣. التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقًا، أحمد رحماني، منشورات جامعة باتنة، الجزائر.

٣٤. تفسير موضوعي للقرآن: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

٣٥. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠١٢.

٣٦. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الشيخ محمد هادي معرفة (١٤٢٧ هـ)، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد المقدسة.

٣٧. التوحيد والشرك في القرآن الكريم، جعفر سبحاني، أسوة، ايران، ١٩٩٢.

٣٨. التوحيد والشكر في سورة النحل، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، ١٤١٥ هـ.

٣٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ٢٠٠١.

٤٠. الجنة في القرآن الكريم: أوصافها، أهلها، نعيمها، سليمان حسن رطروط، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٩.

٤١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٩٧٤.

٤٢. الحوار الفكري في القرآن الكريم: المناظرة والجدل والمحجة، أمين حلمي، دار النهضة الإسلامية، بيروت، ١٩٩٧.

٤٣. الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه، معطياته، محمد حسين فضل الله، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٧٩.

٤٤. الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جنّي (٣٩٢ هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت.

٤٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت (٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت.

٤٦. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦.

٤٧. دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر، حيدر حب الله، دار الفقه الإسلامي المعاصر، ١٤٣٢.

٤٨. دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح (١٤٠٧ هـ)، دار العلم للملايين، ١٩٦٠.

٤٩. الذريعة، آقا بزرك الطهراني (١٣٨٩ هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط٣، ١٩٨٠.

٥٠. الروح والنور في القرآن الكريم: طهارة الروح، تفسير سورة النور: دار الإرشاد، ٢٠١١.

٥١. السنن التاريخية في القرآن، محمد باقر الصدر، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٠١١.

٥٢. سيرة وصورة الإنسان من نظر القرآن الكريم، جوادي آملي، دار إسراء، إيران.

٥٣. شرح أصول الكافي، كتاب الكافي الأصول والروضة، لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني مع شرح الكافي الجامع للمولى محمد صالح المازندراني (١٠٨١ هـ) مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشعراني، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

٥٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار احياء الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٩٥٩.

٥٥. الطبقات الكبرى أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

٥٦. العلم والعلماء في القرآن الكريم، عبد الغفور محمد طه القيسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٧. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (١٧٠ هـ)، مؤسسة دار الهجرة، ط٢، ١٤١٠.
٥٨. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين الأميني النجفي، تحقيق مركز الغدير، طهران.
٥٩. الفقه في القرآن، عبد الأعلى السبزواري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١١.
٦٠. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (١٣٨٥ هـ)، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢.
٦١. القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي، تعريب: أحمد الحسيني، سازمان تبليغات إسلامي، إيران.
٦٢. قرب الإسناد، الحميري القمي (٣٠٤ هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٣.
٦٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (٤٢٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢.
٦٤. كنز العرفان في فقه القرآن، أبو عبد اللّه المقداد بن عبد اللّه بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الأسدي الحلي الغروي المشهور بالفاضل المقداد (٨٢٦ هـ)، المكتبة الرضوية، طهران، ١٣٨٤.
٦٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (٩٧٥ هـ)، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١.
٦٦. المؤمنون في القرآن، قاسم شبر، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١١.
٦٧. الماء في القرآن، دراسة موضوعية، سليمان الحصين، دار المعراج الدولية،

الرياض، ١٤١٥.

٦٨. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، ط ٤، ٢٠٠٥.

٦٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (٦٣٧ هـ)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠.

٧٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٤٥٨ هـ)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

٧١. المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي في القرآن الكريم، محمد باقر الصدر، دار التعارف، بيروت.

٧٢. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، الشيخ محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي (١١١١ هـ)، دار الكتب الإسلاميّة، ١٤٠٤.

٧٣. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

٧٤. المصباح (جنة الأمان الواقية وجنة الايمان الباقية)، الشيخ إبراهيم الكفعمي (٩٠٥ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣.

٧٥. المعاد في القرآن، عبد الأعلى الموسوي السبزواري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١١.

٧٦. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٣١١ هـ)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨.

٧٧. الملعونون في القرآن، هاشم الناجي الموسوس الجزائري، مطبعة دانش، قم.

٧٨. من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: العقل والعلم في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ١٩٩٦.

٧٩. المنافقون في القرآن الكريم، عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار المجتمع، جدة، ١٤٠٩.

٨٠. مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر الألمعي، الفرزدق، الرياض، ١٤٠٤.

٨١. منهاج الهداية في شرح آيات الأحكام الخمسمائة، ابو النّاصر جمال الدّين، أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن المتوّج البحراني (٨٢٠ هـ)، د، ط.

٨٢. منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زياد خليل محمد الدغامين، دار البشير، عمان، ١٩٩٥.

٨٣. موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، فريد جبر، سميح دغيم، رفيق العجم، جيرار جهامي، مكتبة لبنان ناشرون.

٨٤. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (١٤٠١ هـ)، منشورات اسماعيليان، قم.

٨٥. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢.

٨٦. نظرية الارتقاء والتطور في القرآن الكريم، رضوان كمال دباجة، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٠.

٨٧. نظرية السلطة في القرآن الكريم: الاستكبار والتمكين، سعيد شلبي، مكتبة حسن العصرية، ٢٠٠٩.

٨٨. نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، أحمد محمد حسين الدغشي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢.

٨٩. نفحات القرآن: أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: العلم والمعرفة في القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، قم، ١٤٢٦ هـ.

٩٠. نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (١١١٢ هـ)، تحقيق:

سيد هاشم رسولي محلاتي، اسماعيليان، قم، ١٤١٥.

٩١. الوافي، الفيض الكاشاني (١٠٩١ هـ)، تحقيق: ضياء الدين الحسيني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أصفهان، ١٤٠٦.

٩٢. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف/ حسن محمد باجودة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٤.

٩٣. الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، رفعت فوزي عبد المطلب، دار السلام، القاهرة، ١٩٨٦.

٩٤. الوحي والنبوة، عبد الله الجوادي الآملي، مؤسسة الإسراء، قم.

٩٥. وسائل الشيعة، الحر العاملي (١١٠٤ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٦. وعي القرآن، مدارسة مع الشهيد بهشتي، ترجمة جواد علي كسار، مؤسسة الثقلين، بيروت، ٢٠٠٠.

٩٧. ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن ابراهيم القندوزي، دار الأسوة للطباعة والنشر، د.ط.

المواقع الإلكترونيّة:

٩٨. الثنائيات في القرآن الكريم وجوانب التكامل والتدافع.

https://maarifa-center.com/wp-content/uploads/2020/10